doi.org/10.52866/esj.2020.08.16.02

كشف الحقائق وشرح الدقائق
تأليف الإمام برهان الدِّين محمد بن محمد النَّسفيُّ (ت687هـ)
دراسة وتحقيق سورة الأنعام من الآية : (68) إلى الآية (71)

أ.د عبدالوهاب حمد الحيّاني ، أ.م محمد كريم الجميلي ، أسامة إسماعيل المهداوي
الجامعة العراقية / كلية التربية / قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

المستخلص ..

عـاش الإمـام برهـان الديـن النَّسـفي عصريـن مختلفين، فـالأول في بلـدة نسـف ببلاد مـا وراء النهـر والثـاني ببغـداد، وقـد واجـه في كلا العصريـن حيـاة مليئـة بالحـروب والنِّزاعـات السّياسـيَّة والدِّينيـة انعـدم فيهـا الأمـن والاسـتقرار فضـلاً عـن تدهـور الحيـاة الاقتصاديـة لا سـيما في عـصر المغـول ، إلاَّ أنَّ ذلـك لم يؤثـر عـلى دور المـدارس تأثـرًا كبـرًا، بـل ظلّـت تـؤدي دورهـا في التعليـم، حيـث كان النَّسـفيُّ أحـد مشـايخ بغـداد في الإبـداع والتأليـف ويظهـر ذلـك مـن خـلال كتابـه: (كشـف الحقائـق) .

الكلمات المفتاحية: الحقائق ، الدقائق ، النسفي .

Revealing the facts and explaining the minutes Written by Imam Burhanuddin Muhammad Ibn Muhammad al-Nasafi (687 AH)
Studying and investigation from the verse: (68-71) Surah Al-Anaam)

Assist. Prof. Dr. Abdel Wahab Hamad Al Hayani
Assist. Dr. Mohammed Kareem AL- Jumaili
Osama Ismail Khalil
Iraqi University / College of Education - Department of Holy Quran Sciences

Abstract :

Al-Imam Burhan Al-Din Al-Nasfi has lived two different eras; the first one was at Nasaf town in a country beyond the river, the second one was at Baghdad. He faced in both eras a life full of wars and political and religious disputes where no security nor stability as well as a deterioration of economic life especially in the Mongol era. But this did not significantly affect the role of schools. They continued to play its role in teaching in which Al-Nasfi was one of Baghdad's Sheikhs in creation and authorship. This is shown in his book (Kash Al-Haqaeq).

Key words: Facts, Minutes, AL-Nasafi .

المقدمة

شهدت الحركة العلمية في بغداد أبان حكم الدولة العباسية تطوراً بالغاً في شتى العلوم والفنون مع وجودِ عُلماء كبار وأفذاذ جعلوا من بغداد قمة في الحضارة الإنسانية لا تدانيها حضارة أخرى بسبب ما زخرت به من علوم ومعارف رفدت الإنسانية بكل أنواع الرقي والآداب حتى بلغت بغداد العالمية في وقتها.

وقد أستمرت ذلك العطاء طيلة قرون ولم يفتر إلّا في عصر المغول، الذين زحفوا إليها وخَّربوا معالِمها وأحرقوا قُراها وقصباتِها، وقَتلوا عُلمائها وسُكانِها أبشع قِتله وذلك في نهاية خلافتها وسقوط بغداد سنة (656هـ)، ولكن رغم تلك المنحنة التي لم تشهد معها الأمة مصيبة أكبر منها فقد أنبرى ثلة من العلماء شهدوا تلك الحقبة المريرة ونفضوا عن أنفسهم غبار الخراب والدمار وعادوا للأمة صرحها العلمي والإنساني من خلال قيامهم باستعادة زمام المبادرة وبث الروح في المدارس ومراكز التعليم في بغداد وأعادوا تنظيمها وترتيبها وممارسة دورها في تعليم وتثقيف المجتمع الإسلامي ليسَ في بغداد فحسب وإنما في أرجاءِ العالم الإسلامي قاطبةً باعتبارها عاصمة الخلافة الإسلامية والمصدر الروحي الأول للمسلمين في العالم بكل ما تمثلها تلكَ الرمزية التي خلدت ذكر بغداد لمدة خمسة قرون وما زالت.

وكانَ من بين هؤلاء العلماء الذين شهدوا المحنة الإمام برهان الدين محمد بن محمد النَّسفيّ الذي رَحلَ من بلدهِ (نَسف) في بلادِ ما وراء النهر حتى وصلَ إلى بغداد أم الدُّنيا وسيدة البلاد فوجد فيها محط آمالهِ ومبلغ مناه فأختلطَ بعلمائها ودَرسَ عُلومها ودرّسَ في مدارِسها وصنَّف الرائع والمفيد فيها وما كتابهُ (كشف الحقائق وشرح الدقائق) إلّا ثمرة من تلك الثِمار التي نَفعَ بها أهلُ بغداد والأُمة لتعود إلى مكانتها التي لم تسلبها منها معاول وسيوف المغول، وعاودت رفد الأُمة بأضعاف المُجلدات والمُؤلفات والمُصنَّفات في شتى أنواع العلوم والمعارف.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى خمسة مباحث: جاء الأول منها بعنوان: (عصر النَّسفيّ) وتضمن دراسة الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية التي كانت سائدة في بغداد آنذاك. فيما كان المبحث الثاني بعنوان: (السيرة الشخصية لبرهان النّسفيّ) وتضمن دارسة أسمهُ وكنيتهُ ولقبهُ وولادتهُ وموطنهُ ونسبتهُ وولادتهُ ووفاتهُ. وجاء المبحث الثالث بعنوان: (ثقافتهِ) وتضمن رحلاتهِ العلمية وشيوخهُ وتلاميذه وآثارهُ ومصنفاته. أمَّا المبحث الرابع فقد كان بعنوان: (دراسة كتاب كشف الحقائق) وتضمن أسم الكتاب ونسبة الكتاب إلى مؤلفهِ ووصف النسخ الخطية ومنهج المؤلف في الكتاب ومنهجي في التحقيق. أمَّا المبحث الخامس فكان بعنوان: النص المحقق وبسبب كثرة أوراق المخطوط ومحدودية البحث فقد تم اختيار اللوحات الخطية من ورقة (66أ إلى 68أ) وهي الآيات من(68 إلى 71) من سورة الأنعام في التحقيق ثم سردت قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها فيه ومن الله التوفيق والسداد.

المبحث الأوَّل

عصر برهان الدِّين النَّسفيّ

المطلب الأوَّل: الحالة السِّياسِيَّة:

عاشَ برهانُ الدين النَّسَفيّ عصراً مُهماً ومرحلة مليئة بالأحداث والتَّقلُّبات الكبيرة السياسية والعسكرية والاجتماعية الّتي عصفت بالأُمَّة

الإسلاميّة، كان أعظمها غزو التّتار للبلاد الإسلاميّة وسقوط مركز الخلافة العباسيّة في بغداد سنة 656هـ[1].

فقد شهد البرهان النَّسفي مُدَّةً مِن أدقِّ وأحرج التَّقلبات السِّياسِيَّة في تاريخ الأُمَّة الإسلاميَّة، وقد أتاح له عمرهُ المديد أن يرى دُوَلاً تزول وتمضي، وعروشاً تُقام، وتيجاناً تُتوَّج، وحروباً ضارية تندلع في شتَّى أنحاء العالم الإسلامي. فقد شهد حقبة التوترات السّياسيّة الّتي كانت تُهدِّدُ كُلَّ أقاليم بلدان ما وراء النَّهر، بسبب العلاقة المتوتِّرة بين الخلافة العباسيَّة والدَّولة الخوارزميَّة الَّتي كانت من الدُّولِ المهمَّةِ والكبيرةِ في المنطقة الَّتي أثَّرت الأحداث فيها على كُلِّ المُدن والقصبات المُحيطة بها بما فيها مدينة (نَسَف)[2]. فهي كانت البوابة لدخول المغول إلى البلاد الإسلاميَّة فبينما كان جنكيزخان إمبراطور المغول، مُنشغلاً بمحاربة إمبراطور كين في الصين قَتَلَ خوارزم شاه سفراء جنكيزخان بعد حادثة أترار[3] الشَّهيرة. فحول إمبراطور المغول وجهته شطر بلاد خوارزم الإسلامية سنة 616هـ[4]، فخرجوا من أطراف الصين، من جبال طمغاج، وبينهما وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة أشهر، ودخلوا بلاد ما وراء النهر ومدنها، فألقى المغول بالمنابر والمصاحف في الخنادق، وأشعلوا النار في المساجد والمدارس وغيرها من المباني، حتى أصبحت بخارى[5] والمُدن الباقية أثراً بعد عين، وهكذا فعلوا في بلخ[6].

وسمرقند[7] ونسف وغيرهما من مدن أسيا التي

(1) ينظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي: 8/ 284، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: 13/ 233.

(2) نَسف أو نخشب هي مدينة معروفة في بلاد ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند، فالقاصد من بخارى إلى سمرقند يجعل نسف على يساره، ليس بها نهر جار سوى نهر يجري وسط المدينة، فيها قرى ونواح كثيرة، وهي بلاد عامرة خصبة واسعة. ينظر: المسالك الممالك، إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري: 325، حدود العالم، مؤلف مجهول: 85، مراصد الأطلاع عن أسماء الأمكنة والبقاع، لأبن شمائل القطيعي: 3/ 1363.

(3) وملخص هذهِ الحادثة بأنَّ جنكيزخان أرسل جماعة من التجار لشراء الثياب والنفائس من سمرقند فأعترضهم حاكم مدينة أترار وأخذ أموالهم، فأرسل جنكيزخان رُسل إلى خوارزم شاه حاكم الدولة الخوارزميّة يطلب منه تسليم حاكم أترار لمحاكمتهِ في بلادهِ فلم يفعل وقتل رُسل جنكيزخان، فثارت ثائرته وتوعده بغزو بلادهِ وتدميرها. ينظر: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: لمحمد أحمد النسوي: 87.

(4) ينظر: الكامل في التاريخ: عز الدين علي بن أبي الكرم المعروف بأبن الأثير: 12/ 360.

(5) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، مدينة كبيرة عامرة وهي مكان رطب ذات فواكه كثيرة ومياه جارية نزهة كثيرة البساتين واسعة، وفيها نهر الصغد أهلها رماة وغزاة. ترتفع منها البسط والمصلّيات ومساحتها اثنا عشر فرسخا في اثني عشر فرسخا، يحيط بها بأسرها سور، وبها قلعة ورباطات، وفي داخل هذا السور قرى. يعبر إليها من آمل الشّطّ، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانية، ينظر: حدود العالم من المشرق الى المغرب، مؤلف مجهول: 126، ومعجم البلدان، للياقوت الحموي: 1/ 353.

(6) مدينة مشهورة بخراسان من أجلّ مدن خراسان وأكثرها خيرا وأوسعها غلّة، تحمل غلّتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم، وقيل: إن أول من بناها لهراسف الملك، وقيل: بل الإسكندر بناها، وكانت تسمى الإسكندرية قديما، بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخا، ويقال لجيحون: نهر بلخ، أفتتحها الأحنف بن قيس في أيام عثمان بن عفان ﷺ ينظر: حدود العالم: 1/ 121، ومعجم البلدان: 1/ 479.

(7) مدينة مشهورة وكبيرة وعامرة بخراسان من أجل البلدان وأعظمها قدرا وأشدها امتناعا وأكثرها رجالا وأشدها بطلا وأصبرها محاربا وهي نحر الترك، وهي مدينة ذات نعم وفيرة يجتمع فيها التجار من الآفاق. ولها مدينة وقلعة وربض؛ يمر من فوق سقف سوقها ماء جار في نهر من رصاص، ويأتيها الماء من جبل.

كانت من قبل موطن الأولياء وقبلة العلوم.

ثُمَّ توجهوا غرباً حتى وصلوا حدود العراق[1]، وبهذا الغزو التتري أبتلى المسلمون بمصائب لم يبتلِ بها أحد من الأمم، فلم يدخلوا بلداً إلا قَتلوا جميع من فيهِ من الرجال والنساء والأطفال، وشقوا بطون الحوامل وقَتلوا الأجنة، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليهِ، وبالحرق إن لم يحتاجوا إليهِ، وأكثرُ ما كانوا يَحرقون المَساجد، ويأخذون الأسرى من المُسلمين ويحاصرون بهم، وإن لم يقدروا على الخروج قتلوهم.

وكان النَّاس يخافون منهم خوفاً عظيماً، حتى قيل: إنَّ رجلاً منهم دخلَ إلى دَربٍ وبهِ مائة رجل لم يستطيع واحداً منهم أن يتقدَّمَ إليه، وما زالَ يقتلهم واحدًا بعد الآخر حتى قتلَ الجميع، ولم يرفع أحد يدهُ عليهِ، ونهب ذلكَ الدَّرب وحده[2].

وفي سنة (656هـ) سقطت بغداد في يد التتار على يد هولاكو، وقتل المغول أهلها، وهدموا مساجِدها ليحصلوا على ذهب قبابها وجردوا القصور مما فيها من التُحف النَّادرة، وأتلف عددًا كبيرًا من الكتب القيمة في مكتباتها، وقتلوا كثيرًا من رجال العلم فيها، وضاعت الثروة الأدبية الّتي عنى الخُلفاء العباسيون بجمعها، وأستباح المغول المدينة لُمدَّة أربعين يومًا قُتِلَ أكثر من مليونِ شخصٍ وعلى رأسهم خليفة المُسلمين[3].

ولم تكن باقي مُدن العراق بمنأى عن خطر المغول بل تأثَّر السُّكان في مُعظم أنحاء العراق، فبعدَ أن أنهى جنود المَغول سيطرتهم على بغداد أتجهوا إلى الحِلّة والكوفة وواسط والبصرة مِمَّا أثاروا الرُّعب والفَزع في نفوس الأهالي بسبب قلّة الإمكانات العسكريّة لمواجَهتهم فاضطروا النُّزوح إلى البطائح بأمتِعتِهم البسيطة[4].

وقد أسهبت المصادر التَّاريخيَّة بذكر تفاصيل وبشاعة المجازر الَّتي ارتكبوها. وهكذا يتبيَّن لنا أنَّ الإمام برهان الدين النَّسفيّ قد عاصر هذهِ الحادثة العظمى والمُصيبة الكُبرى الَّتي حلّت بالمُسلمين والتي وصفها أبن الأثير[5] فقال: «هذا الفعل يتضمّن ذكر الحادثة العظمى والمُصيبة الكُبرى الّتي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمّت الخلائق وحضت بالمُسلمين، فلو قال قائلٌ: إنَّ العالم منذُ خَلَقَ الله سبحانَهُ وتعالى آدم وإلى الآن، لم يُبتل بمثلها، لكانَ صادقًا، فأنَّ التواريخ لم تتضمن ما يُقاربها ولا يُدانيها»[6].

ولكن مع هذا كُلّه فإنَّ الجبال الرَّاسيات الرَّاسخات لا تُوثر فيها الرياح العاصفات، ومن هذهِ الجبال الّتي ثبتت وثبَّتت البرهان النَّسفيّ، فقد أستمر في طلب العلم والتّعليم والتّأليف.

يرتفع منها الكاغذ الذي يحمل إلى الآفاق وحبال القنّب. وإن نهر بخارى يمرّ من باب سمرقند. ينظر: البلدان، أحمد بن إسحاق اليعقوبي: 124، وحدود العالم من المشرق إلى المغرب: 127.

(1) ينظر: الكامل في التاريخ: 12/ 359-360، وتاريخ الإسلام: 4/ 143، ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، للشيخ محمد الخضري بك: 467.

(2) ينظر: البداية والنهاية، للحافظ أبن كثير: 13/ 90.

(3) ينظر: تاريخ الإسلام: 4/ 35، والبداية والنهاية: 13/ 202، وتاريخ الخُلفاء: 421.

(4) ينظر: تاريخ مختصر الدول، لأبن العبري: 81.

(5) الشيخ الإمام العلامة المحدث الأديب النسابة عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني، ابن الشيخ الأثير أبي الكرم، له كثير من المُصنّفات منها: (التاريخ الكبير الملقب بـ «الكامل) و(أسد الغابة في معرفة الصحابة) و(اللباب في تهذيب الأنساب). ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: 16/ 257، وشذرات الذهب لأبن العماد الحنبلي: 7/ 241، والاعلام للزركلي: 4/ 331.

(6) ينظر: الكامل في التاريخ، لأبن الأثير: 12/ 358.

المطلب الثَّاني: الحالة الاجتماعِيَّة:

عاش الإمام برهان الدين النَّسفيّ رحمه الله فترة زوال الخلافة العباسية، وغارات المغول الضَّاربة على العالم الإسلامي وهي الفترة الواقعة بين قرنين (السَّادس والسّابع الهجريين)، فكونت مزيجاً مُركباً وطبقياً من أهل الشرق والغرب ومن المُسلمين والنَّصارى والتُّركِ والعَرَبِ والمَغولِ.

حيث أنقسم المُجتمع إلى عدة طبقات تتمثل في:

الطبقة الأولى: الخاصة: وهم الحُكّام كان الحكَّامُ في المرحلةِ الأولى مِن حياةِ البرهان النَّسَفي يمثِّلون الخلافة العباسيَّة وحاشِيتَهم مِن أقرباء الخليفة ورجال الدولة البارزون كالأشراف والوزراء والقواد والكُتّاب والقضاة والعلماء والأدباء، وهؤلاء لهم مرافق خاصة بهم كما كانَ لهم باب خاص يدخلون على الملك منهُ[1].

الطبقة الثّانية: العامة: وهم أهل الحرف والصنائع والتجار والفلاحون والجند، وهؤلاء لهم مرافق خاصة بهم ويدخلون على الخليفة من باب العامة.

الطبقة الثّالثة: الخَدم ومنهم الأحرار وأغلبهم العبيد الذين أخذوا كأسرى حرب، ولهم ببغداد شارع خاص بهم، يسمى دار الرقيق، وموضع آخر يُسمى دار النخاسين، يقومون بخدمة الخليفة وحاشيته وخدمة الناس. وأغلب الرقيق كانوا من بلاد ما وراء النهر[2]. وأمّا أسواق الرقيق فكانت ترتكز في مصر وشمال أفريقيا، ويلاحظ أن بعض الخُلفاء العباسيين كانت أمهاتهم من تلك الجواري التي كان يَشتريها الخليفة لِجمال منظرها أو لعذوبة صوتها أو لذكائها وجودة شِعرها.

الطبقة الرابعة: ومن طبقات المجتمع أهل الذمة وهم (اليهود والنَّصارى) الذين كانوا يتمتعون في دار الإسلام بالأمن والطمأنينة تحت ظل سماحة الإسلام، فكانوا يقيمون شعائرهم، ويشاركهم الخلفاء في مناسباتهم وأعيادهم، ويكرمونهم بالعطايا والهبات.

أما الاحتفالات الدينية فكان من مظهرها خروج الخليفة مُرتدياً أفخر الثياب وبصحبة كبار رجال الدولة، ويقف العامة على جانبي الطريق لتحية الخليفة وهو في طريقه للمسجد.

أما حفلات الزواج فقد أتسمت بطابع البذخ والإسراف. وأما المرأة فكانت لا تختلط بالرجال الغرباء، وكان المُحتسب[3]، لا يسمح باختلاط الرجل بالمرأة في الطرقات العامة، ولو كانا زوجين، ولكن المرأة كانت تحضر مجالس الوعظ في المساجد، مما يدل على مشاركتها للرجل في الشعائر الدينية وميدان العلم والثقافة[4].

هذا مُجمل ومختصر الأحوال الاجتماعية في بغداد، والّتي عاش فيها الإمام البرهان النَّسفيُّ ما يقارب الخمسة عشر عامًا، ولا شكَّ أنَّ مثل هذهِ الاحوال تؤثّر في المسيرة العلميّة ولكن الله أراد بعبدهِ خيرًا

(1) ينظر: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، محمود رزق سليم: 3/ 8-9.

(2) بلاد يحيط بها من شرقيها حدود التبت؛ ومن جنوبيها خراسان والمناطق التابعة لها؛ ومن غربيها الغوز وحدود الخلخ؛ ومن شماليها حدود الخلخ أيضا. وهي بلاد عظيمة عامرة ذات نعم وفيرة بتركستان، يجتمع فيها التجار. وأهلها مقاتلون غزاة ورماة حسنو الديانة. وهي بلاد يسودها العدل. وفي جبالها معادن الذهب والفضة الكثيرة وجميع الجواهر التي يؤتى بها من الجبال، إضافة للعقاقير التي في الجبال كالناك والزرنيخ والكبريت والنوشادر. ينظر: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، مؤلف مجهول: 126.

(3) المحتسب مأمور من الحاكم لضبط الموازين وغير ذلك.

(4) ينظر: تاريخ الإسلام: 4/ 586-614، وتاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف: 4/ 53-60.

وفتح عليهِ من خزائن فضلهِ، وذلك فضل الله يؤتيهِ من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

المطلب الثَّالث: الحالة الفكريَّة:

أتسمت الحياة الفكرية زمن البرهان النَّسفي بالأبداع والتجديد والمعرفة والابتكار العلمي، وشكلت العوامل السياسية والعسكرية والاجتماعية اسهاماً واضحاً في نشاط الحركة الفكرية من حيث الابداع والتجديد والاحياء، على الرغم مما أنتاب العالم الإسلامي في نهاية العصر العباسي من ضعف وتفكك وانحلال، إلا أننا نجد هذهِ الفترة تتميز بنهضة علمية وحركة فكرية نشطة في بغداد، وفي تلك الدول التي أستقلت عن الخلافة العباسية.

وكان لظهور الفرق الإسلامية التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق أغراضها دور في تلك النهضة العلمية، ومن مراكز الثقافة الإسلامية التي جذبت إليها العلماء أصبهان والري، وكان البلاط السامانى في بُخارى، وبلاط السلاجقة في مرو حاضرة خرسان كعبة يؤمها العلماء ورجال الأدب من شتى بقاع العالم[1].

وقد ذكر ياقوت الحموي[2]، أنَّ مرو أخرجت من الأعيان وعلماء الدين والأركان مالم تُخرج مدينة مثلها.

وبين أنَّه حين فارقها أمام غارات التتار كان فيها عشر خزائن للوقف لم يُرى مثلها في الدنيا كثرة وجودة[3].

كما أنَّ العباسيين قد أهتموا بنشر العلوم الطبية، فأسسوا المدارس الطبية والمستشفيات، ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي يجتمع فيها الأطباء من كافة البلاد في موسم الحج، وكانت بغداد في الشرق، وقرطبة في الغرب، من أهم مراكز الثقافة الطبية الإسلامية.

هذا بالإضافة إلى المكتبات التي كانت تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها من العلوم والفنون، والتي كانت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية كمكتبة (دار الحكمة)[4] التي أمدها العباسيون بمختلف الكتب والتي ظلّت قائمة حتى أستولى التتار على بغداد سنة 656هـ.

ومكتبة (دار العلم)[5] التي كانت تحتوي مئات الألوف من المصنفات، وقد انتفع الناس بما فيها

(1) ينظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي: 4/ 398.

(2) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم. أسر من بلاده صغيرا، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه وشغله بالأسفار في متاجره، ثم أعتقه سنة: (596هـ) توفي سنة: (626هـ)، من مصنفاتهِ: (معجم البلدان) و(أنساب العرب). ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبن خلكان: 6/ 127، والأعلام للزركلي: 8/ 131.

(3) ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي: 5/ 114.

(4) دار الحكمة أو بيت الحكمة: أسسها الرشيد «149-193هـ» وأمدها ابنه المأمون بكثير من المؤلفات والمترجمات حتى أصبحت أكبر خزائن الكتب في العصر العباسي، وظلت قائمة حتى استولى التتار على بغداد سنة 656هـ. ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس القلقشندي: 1/ 466، 467، وضحى الإسلام، أحمد أمين: 2/ 61.

(5) وهي خزانة العبيديين بمصر، ألحقها الحاكم العبيدي ت 411هـ، صاحب مصر بدار الحكمة، التي أنشأها على غرار جامعات بغداد وقرطبة، وقد جمع في دار العلم كتب كثيرة، وأقام فيها المسئولين وخصص لهم الجرايات وزودها بما يحتاج إليه القراء والنساخ من الحبر والمحابر والأقلام والورق، وانقرضت هذه الخزانة بموت العاضد آخر خلفاء الفاطميين سنة 567هـ. ينظر: مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل: 43.

مـن أوراق وأقـلام للنسـخ والبحـث والدراسـة دون مقابـل[1].

ولمـا كان الغـزو التـتري انتقلـت مراكـز العلـم والأدب مـن بغـداد ونيسـابور والـري وقرطبـة وغيرهـا إلى القاهـرة ودمشـق وحمـص وحلـب وغيرهـا مـن مدائـن الشـام وهمـا في حـوزة سـلاطين المماليـك. وقـد قَلَّـت المكتبـات الكـبرى بسـبب أعـمال الحـرق التـي طالتهـا عـلى أيـدي التتـار، فقـد أحرقـت مـن المكتبـات في بغـداد وبخـارى ونيسـابور وغيرهمـا مـن مراكـز العلـم مـالا يحـصى عددهـا.

أمـا العلـماء فقـد ظهـرَ في عـصرُ البُرهـان النَّسَـفيِّ العديـدِ مِـن العلـماءِ مِـن ذوي الشَّـخصيات البـارزة وأصحـابِ الأسـماء اللَّامعـة كالفخـر الـرَّازي (ت: 606هـ)[2]، والياقـوت الحمـوي (ت: 626هـ)[3]، وأبـو البركات النَسـفيّ (ت: 710هـ)[4]، وعبـد المؤمـن بـن عبد الحـق القطيعـي البغـدادي (ت: 739هـ)[5]، وغيرهـم كثير.

فقـد كثُـرَت مؤلَّفـاتُ هـؤلاءِ جميعـاً، وتعـدَّدت فنونهـا، وقـد نشـأ عـن تعـدُّد ألـوان التَّأليـف في شـتَّى العلـوم حركـة فكريـة رائجـة خاصَّـة مـع اختـلافِ المذاهـب العقائديـة والفقهيَّـة، والنَّحويَّـة واللُّغويَّـة، والفلسـفيَّة، فكثُـرَت المناظـراتُ وشـاعَ الجَـدَلُ بـين الفـرقِ المختلفـةِ، وتعـدَّدَت المؤلَّفـات الَّتـي تنافـح عـن الآراء وتدافـع عـن النَّزعـات، وانتَـشَرَت المذهبيَّـةُ الدِّينيَّـةُ ولهـجَ النَّـاسُ بهـا في شـؤونِهم المختلفـة، وأصبحـت النَّزعـات الدِّينيَّـة ولا سـيما مـا يتَّصِـلُ مِنهـا بالعقائـدِ جُـزءاً هامَّـاً مِـن السِّياسـة العامَّـة في ذلـك العـصر[6].

ومـن خـلالِ المُعطيـات السَّـابقة يَتَبَـيَّن لنـا أنَّ العـصر الَّـذي عاشـه البرهـان النَّسَـفي، كان مليئـاً بالحـروب والنِّزاعـات السِّياسـية والدِّينيـة، انعـدم فيـه الاسـتقرارُ الأمنـي، والاقتصـاديّ، إلَا أنَّ ذلـك لم يؤثِّـر عـلى دورِ المـدارسِ تأثيراً كبيراً، بـل ظلَّـت تـؤدِّي دورهـا في التَّعليـم والتَّأليـف.

المبحث الثاني
سيرته اشخصية

اسـمه وكنيتـه ولقبـه ومولـدهُ وموطنـه ونسـبته ووفاتـه

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

● هـو مُحَمَّـد بـن مُحَمَّـد[7]، وقـد ذكـرت بعـض المصـادر أنَّ أسـمهُ: محمـد بـن محمـود[8]. أمَّـا كنيتـهُ

(1) ينظـر: تاريـخ الإسـلام: 4/ 403-408، وأمـراء الشـعر العـربي في العـصر العبـاسي، أنيـس المقـدسي، طبعـة دار العلـم للملايـين ، بـيروت: 58.

(2) هـو أبـو عبـد الله، محمـد بـن عمـر بـن الحسـين بـن الحسـن التميمـي البكـري الـرازي، فخـر الديـن والمعـروف بابـن الخطيـب، مفـسر ومتكلـم واعـظ، ومـن أهـم مصنفاتـه: التفسـير الكبـير المسـمى مفاتيـح الغيـب، (ت: 606هـ). ينظـر: وفيـات الأعيـان: 4/ 248، وتاريـخ الإسـلام، للإمـام الذهبـي: 13/ 137، وطبقات الشـافعية، للسـبكي: 8/ 81، وطبقـات المفسريـن، للسـيوطي: 115.

(3) سبقت ترجمته.

(4) عبـد الله بـن أحمـد بـن محمـود النسـفي، أبـو البـركات، حافـظ الديـن: فقيـه حنفـي، مفـسر، مـن أهـل إيـذج (مـن كـور أصبهـان) ووفاتـه فيهـا. نسـبته إلى نسـف ببـلاد السـند، بـين جيحـون وسـمرقند. لـه مصنفـات جليلـة منهـا: (كنـز الدقائـق) و(الـوافي). ينظـر: الأعـلام للـزركلي: 4/ 67، ومعجـم المؤلفـين لعمـر رضـا كحالـة: 6/ 32.

(5) عبـد المؤمـن بـن عبـد الحـق، ابـن شـمائل القطيعـي البغـدادي، الحنبـلي، صفـيّ الديـن: عـالم بغـداد في عـصره. مولـده ووفاتـه فيهـا. كان يـضرب بـه المثـل في معرفـة الفرائـض. لـه (معجـم في رجـال الحديـث) و(مراصـد الاطـلاع في الأمكنـة والبقـاع). ينظـر: الأعـلام للـزركلي: 4/ 170.

(6) ينظـر: عـصر سـلاطين المماليـك ونتاجـه العلمـي والأدبي لـرزق سـليم: 3/ 8-9.

(7) ينظـر ترجمتـهُ في: الـوافي بالوفيـات، للصفـدي: 1/ 216، وتاريـخ الإسـلام، للذهبـي: 15/ 517، وتاريـخ ابـن الـوردي، لزيـن الديـن عمـر بـن مظفـر الشـهير بابـن الوردي(ت:749هـ): 2/ 227.

(8) ينظـر: الـوافي بالوفيـات: 1/ 216، وشـذرات الذهـب في

فقد اختلفت المصادر التاريخية في ذلك فمنها من ذكرت كنيته: بـ (أبا الفضل)[1]، على أنَّ قسمًا آخر ذكر كنيتهُ: بـ (وأبا الفضائل)[2].

● وقال آخرون أنَّ كنيته: (أبا عبدالله)[3]. أمَّا لقبه فقد كان يُلقَّب بـ (برهان الدِّين)[4]، وقد أختصرتهُ بعض المصادر إلى (البرهان النَّسَفي)[5].

ثانياً: مولده.

ذكرَت لنا المصادرُ التاريخية أنَّ البرهان النَّسَفي ولد سنة: (ستمائة) نهاية القرن السَّادس الهجري بمدينة (نَسَف) ونُسِبَ إليها ونشأ وترعرع، وفيها تلقى العلم في بِداية حياته، ومِما يؤيد هذا القول هو أن بعضُ تلاميذه ذكروا سنة ولادته، كابن الفُوَطي حيث قال: (إنَّ هذا التَّاريخ لمولدهِ هو على وجهِ التَّقريب لا التَّحديد)[6]، وكذا في الجواهر المُضيَّة[7]، ويَذكُر كارل بروكلمان أنَّ مولِده سنة: (ستمائة وست من الهجرة)[8]، وهذا التاريخ الَّذي ذكره بروكلمان هو سنة وفاة الفخر الرَّازي (رحمه الله) صاحبِ كتاب: (مفاتيح الغيب أو التَّفسير الكبير).

ثالثاً: موطنه ونسبته.

ولد البرهان النَّسفيّ بمدينة (نَسَف) ونُسِبَ إليها ونشأ وترعرع، وفيها تلقى العلم في بِداية حياته فيها، ونذكر بأختصار أهمية موقع نَسَف عند الجغرافيين، فهي المدينة الَّتي سمَّاها الجغرافيُّون والمؤرِّخون بـ (نخشب) وقد اختلف البُلدانيُّون العرب في موضعها ونَسبها، فمنهم من ذكرها من مدن (الصَغْد)[9] ، ومنهم من جعلها من (كور خرسان) المعروفة، وعدَّها آخرون من مدن سمرقند أو كور ما وراء النهر، فيما ذكرت أيضًا من النَّواحي التَّابعة لِما وراء النهر[10]. ونَسَف بفتح النُّون والسِّين: مدينةٌ كبيرة كثيرة الأهلِ تقع بين

أخبار من ذهب، لأبن العِماد الحنبلي: 7/ 672.

(1) ينظر: العبر في خبر من غبر، للذهبي: 5/ 346، والوافي بالوفيات :1/ 216، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عبد الله بن سليمان اليافعي: 4/ 151، وطبقات المفسرين للأدنه وي: 256.

(2) ينظر: تاريخ الإسلام: 15/ 517، والجواهر المضية في تراجم الحنفية، لمحي الدين أبي محمد عبدالقادر بن محمد بن نصرالله القرشي: 2/ 127، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، للعلامة بدر الدين العيني: 204.

(3) ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي (ت845هـ): 2/ 209.

(4) ينظر: تاريخ الأسلام: 15/ 517، والجواهر المضية: 2/ 127.

(5) ينظر: تاريخ الإسلام: 15/ 517، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: 204، والجواهر المضية: 2/ 252.

(6) الوافي بالوفيات: 1/ 216، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: 204، وتاج التراجم في طبقات الحنفية: 246-247، وطبقات المفسرين للأدنه وي: 256.

(7) الجواهر المضية في تراجم الحنفية، لعبد القادر بن محمد نصر الله القرشي: 2/ 127.

(8) ينظر: تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان: 1/ 615.

(9) قد تكتب بالسين بدل الصاد: وهي بلاد تظم رهطٍ من الترك وأهل بيت المملكة منهم من فرغانة وفيهم الملك وهو خاقان الخواقين، والصغد صغدان (صغد بخاى) و(صغد سمرقند) قُرى مُتصلة بضلال الأشجار والبساتين من سمرقند الى قريب بخارى، ولصغد مدن كثيرة، وجليلة، ومَنيعة، وحصينة، منها: (الدبوسية وكشانية وكش ونَسف). ينظر: نُزهة المُشتاق في أختراق الآفاق، للأدريسي: 1/ 494-498، معجم البلدان، لياقوت الحموي: 1/ 355-409.

(10) ينظر: التواريخ المحلية لإقليم خُراسان، قحطان عبدالستار الحديثي: 72.

جيحون[1] وسمرقند[2].

والمؤرخون يسمُّون البلاد الواقعة بين نهري سيحون[3] وجيحون «بلاد ما بين النَّهرين» ونَسَف أرضٌ مستوية محاطة بالجبال، وأمَّا ما بينها وبين جيحون فمفازة لا جبل فيها، ولها نهرٌ واحدٌ يجري في وسطِ المدينة وهي مجمع مياه كش[4] فيصيرُ منها هذا النَّهر فيشرعُ إلى القرى، ودار الإمارة على شطِّ هذا النَّهر بمكان يعرف برأس القنطرة، ولنَسَفَ قرى كثيرةٌ ونواحٍ، والغالبُ على نَسَف الخَصبُ، وقد خَرَجَ منها كثيرٌ مِن أهلِ العلمِ وخصوصاً فقهاء الحَنَفيَّة[5]، ومنهم الإمام محمد بن محمد برهان الدِّين النَّسَفيُّ.

رابعاً: وفاته.

اتَّفقَ كل مَن ترجَمَ للبرهان النَّسَفيِّ على تحديدِ مكانِ وفاتِه وموضعِ دفنِه، وهو أنَّه تُوفِّي ببغدادَ ودُفن بالخَيزُرانيَّة[6] قربَ الإمامِ أبي حنيفة – رحمه الله تعالى – ولكن اختلفوا في تحديدِ زَمنِ وفاتِه على أقوالٍ وهي كما يأتي:

الأوَّل: سنة أربع وثمانين وستمائة. قال به: الحافظُ الذَّهبيّ كما في كتابهِ تاريخ الاسلام[7]، ونقل ذلك اليافعيُّ في مرآة الجنان[8]، وابن العماد الحنبليّ في شذرات الذَّهب[9].

الثَّاني: سنة ست وثمانين وستمائة. وممَّن قالَ به حاجي خليفة[10]، وإسماعيل باشا[11].

الثَّالث: سنة سبع وثمانين وستمائة. وبه قال الأكثرون[12].

---

(1) وهو نهر كبير بأسيا الوسطى مشهور جداً وأليه تُنسب البقعة المعروفة عند العرب ببلاد ما وراء النهر، وأطلق عليه مصطلح (أمودريا) وهي تسمية يونانية، مخرج هذا النهر من بلاد التبت، ثم يمر ببلاد (وخان) ويسمى هناك (وخاب)، ثم يمر بحدود (بلخ) مما يلي المشرق على حدود (خُراسان)، ثم ينعطف إلى ناحية الشمال مع الجنوب إلى ان يصير إلى (الترمذ). ينظر: الأعلاق النفيسة لأبن رسته: 91، حدود العالم من المشرق إلى المغرب: 35.

(2) وهي مدينة مشهورة بأسيا الوسطى أسمها القديم (مرقندا) ويقال لها في كتب الجغرافيين العرب: (سمران) قيلَ: أن ذا القرنين بناها في بلاد ما وراء النهر، وهي قصبة (الصغد أو السغد) مبنية على جنوبي وادي الصغد، وهي مُرتفهة عليهِ وهي من أجل البلدان قدراً وأشدها أمتناعاً وأكثرها رجالاً. ينظر: مسالك الممالك، للأصطخري: 316–323، صورة الأرض، لأبن حوقل: ق2/ 92، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي: 2/ 278.

(3) وهو نهر كبير بآسيا يقع بالقرب من خجنده، بعد سمرقند. يجمد ماءهُ في الشتاء بحيث تتمكن القوافل من السير فوقهُ وهو في حدود بلاد التُرك قيل أن أسم سيحون ذو أصل أموري لا يُعرف معناهُ يرجع إلى أسم مَلك من مُلوك الأموريين. ينظر: معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع ، للبكري: 3/ 771، معجم البلدان، لياقوت الحموي: 3/ 294، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: 2/ 764.

(4) مدينة بالقرب من سمرقند حصينة لها قُهُندز وربض وهي مدينة جُرومية كثيرة الأمطار وشديدة البرد القارص، لها نهران يمران بها ينتفع منهما في الزرعة، وفي جبالها الكثير من المعادن والأعشاب الطبية. ينظر: مسالك الممالك للأصطخري: 324، أثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: 554.

(5) ينظر: معجم البلدان: 5/ 285.

(6) الجواهر المضية: 2/ 127، وطبقات المفسرين للداوودي: 2/ 252، وأعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، لوليد الأعظمي: 84. والخيزرانية هي مقبرة بجوار الإمام أبي حنيفة –رحمه الله تعالى– تقع في وسط بغداد، نسبت الى الخيزران أم الرشيد والهادي لأنهادفنت بها. وهي اليوم في منطقة الأعظمية ببغداد.

(7) تاريخ الاسلام: 15/ 517.

(8) مرآة الجنان: 4/ 151.

(9) شذرات الذهب: 7/ 672.

(10) كشف الظنون: 2/ 1273.

(11) هدية العارفين: 2/ 135.

(12) تاريخ الإسلام: 15/ 600، وتاج التراجم: 246–

الرابع: سنة ثمان وثمانين وستمائة. وممَّن ذكرَ هذا حاجي خليفة كما في كشف الظّنون[1].

وبالجمع بين الأقوال والروايات السابقة فإنَّ الَّذي يبدو لي رجحانُه هو القول الثَّالث وهو سنة: (سبع وثمانين وستمائة) وذلك لما يأتي:

1 - إنَّ تلميذَهُ المؤرِّخُ ابن الفُوَطي (رحمه الله)[2] قد حدَّدَ هذا التَّاريخ بدقةٍ تَدُلُّ على معرفةٍ واطِّلاع فقال: «وماتَ في الثَّامن والعشرين من شهر ذي الحِجَّة سنة سبع وثمانين وستمائة»[3]. وتلميذه أدرى النَّاسِ به؛ بسبب ملازمته له دهراً طويلاً فظلاً عن تحديد اليومِ والشَّهرِ مُشعِرٌ بتيقُّنِه وقوَّةِ ضبطِهِ، ويُزادُ على ذلك أنَّه مؤرِّخٌ متضلِّعٌ.

2 - إنَّ مصادرَ ترجمتِهِ تكادُ تُجمِعُ على هذا القول فلم يَشُذّ إلَّا القليل. فقد عاشَ - رحمه الله تعالى- ما يقارب تسعين سنة كما ذكر أحمد بن علي المقريزي[4] والحافظ الذهبي رحمهم الله تعالى.

المبحث الثالث
ثقافته
رحلاته العلمية وشيوخه وتلاميذه وآثاره ومصنفاته

أولاً: رحلاته العلميَّة:

إنَّ الرِّحلة في طلب العلم مُهِمّةٌ جَليلةٌ، وَهي تُعتبر إحدى أهم أسباب اكتساب العلم، كما أنَّها من مزايا أهل العلم في الإسلام من قديم الزَّمان، واعتادَ علماءُ الإسلام على التَّنَقُّلِ والتِّرحال مِن بلدٍ إلى بلدٍ آخرَ، في سبيل طلب العلم والأخذِ مِن علماءِ تلك البلدان، فأصبحت الرِّحلة في طلب العلم مقصداً أساسياً في نفوس العلماء السّابقين للازدياد من العلم وتنقيحهُ، وتنويعهُ، وتعميقه، فما كان يتخلّف عنها إلّا من أقعدهُ ضعفُ الجسم، أو كثرة العيال، أو فَقدُ الدُّريهمات، أو رعاية حقِّ الوالدة أو الوالد.

وكان البرهانُ النَّسَفيُّ أحدَ أولئك العلماء، ولكنَّه كان مُقلَّاً في أسفاره مقارنة بغيرهِ من العلماء الرَّحالة، حيثُ اقتصرَ البرهان النَّسَفي في تَنَقُّله وترحالهِ على ثلاث بلدان، فقد وُلِدَ بنَسَف، ورحل إلى دلهي في الهند يُعطي ويُفيدُ لطلَّابِ المدارس الَّتي أنشأها الملوك في وقته، ثُمَّ ذهبَ بعدها إلى دمشق حيثُ عكف فيها يُدرِّس مُدَّة من الزمان، ثُمَّ كان آخر مقامه في بغداد.

قال الشَّيخ عبد الحي بن فخر الدِّين الحسني (ت: 1341 هـ) في ترجمته للبرهان النَّسَفي: «هو الشَّيخ العالم الكبير، برهان الدِّين النَّسَفي، أحدُ العلماء المُبرَّزين في الفقه والأصول والعربية، كان يُدرِّس ويفيدُ بدارِ المَلِك في دلهي، أخذ عنه خلق كثير من العلماء والمشايخ»[5].

ثُمَّ نقلَ الشَّيخ عبد الحي ترجمةً للبرهان النَّسَفي عن نظام الدِّين أولياء (ت: 725 هـ)[6]، جاء فيها:

«أنَّه كان إذا أتى إليه رجلٌ للعلم يشترط عليه ثلاثة أمور:

247، وسلم الوصول: 4/ 247.

(1) كشف الظنون: 1/ 865.

(2) ستأتي ترجمته.

(3) ينظر: تاريخ الاسلام: 15/ 600، والوافي بالوفيات: 1/ 216، وطبقات المفسرين، للأدنه وي : 256، وتاج التراجم: 246-247.

(4) ينظر: السلوك لمعرفة الملوك، للمقريزي: 2/ 209.

(5) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: 1/ 88. وقد ذكره المؤرخ عبد الحي الحسني في الطبقة السابعة فيمن قصد الهند من العلماء في القرن السابع الهجري.

(6) نظام الدين محمد بن أحمد بن علي البخاري البدايوني، الأصولي الفقيه، من علماء الهند المشهورين، ينظر: نزهة الخواطر: 2/ 193-195.

الأوَّل: أنَّه لا يأكلُ في اليومِ واللَّيلةِ إلَّا مرَّة واحدة مما يشتهيه مِن الطَّعام.

الثاني: أنَّه لا يتأخَّر عن الحضورِ في الدُّروس يومًا من الأيَّام، فإن تقاصرَ عنه ولو مرةً واحدة لا يُقرؤه أبدًا.

والثَّالث: أنَّه إذا لقيَه في الطَّريق فيكتفي بالتَّحية المسنونة، ولا يُزيدُ على ذلك من تقبيلٍ وغيره»[1].

ثُمَّ رَحَلَ إلى دِمشق ودرَّسَ بها وانتفعَ به خلقٌ[2]، ثُمَّ قصدَ بغداد سنة خمس وسبعين وستمائة للهجرة[3]، واستقرَّ بها إلى أن مات رحمه الله سنة: (687هـ).

ثانياً: شيوخه وتلاميذه.

إنَّ عالِمًا كالبرهان النَّسَفي لابُدَّ أن يكونَ له شيوخٌ تَتَلمَذَ عليهم حتَّى حَصَلَ على هذه العلوم، ولاسِيَما العلوم العقلية؛ فهي تحتاج إلى عقل متفتح وقلبٍ نَيِّر وشيخ واسع المعرفة حتَّى يحوزَ عليها، ولكن مع كثرةِ بحثي في كُتُبِ التَّراجم لم أعثر على شيخٍ للبرهان النَّسَفي، وإن كان الغالب أنَّه تتلمذَ على علماءِ نسف في وقته فقد كانت مدينة نسف مشتهرةً بالعلم والعلماء، وخَرَّجَت كثيراً منهم.

وكذلك لم أعثُر على تلاميذ كُثُر للبرهان النَّسَفي إلَّا أنِّي وقفت على أربعة منهم، مع العلم أنَّ الإمام الحافظ الذَّهبي قال «وتَخَرَّج به خلق»[4]. أمَّا تلاميذهُ الأربعة الّذين عرفتهم وعُرِفوا بالفضلِ والعلم فهم:

1 - **شرف الدِّين الجويني (ت: 685هـ)**: هو شرف الدِّين هارون بن محمد الصَّاحب، شمس الدِّين بن محمد الصَّاحب بهاء الدِّين الجويني صاحب ديوان الممالك في بغداد، قرأ على برهان الدين النَّسَفي واشتَغَلَ عليه بعد قدومه بغداد سنة: (675هـ). كما قرأ على صفي الدِّين عبد المؤمن البغدادي (ت: 739هـ)[5].

وكتبَ على ياقوت المستعصميّ[6] الخطاط المشهور، وتصدَّر للتَّدريس في المدرسة النظامية سنة إحدى وسبعين وستمائة، وعلا اسمه، تولَّى بعد وفاة عمِّه علاء الدين، ديوان بغداد وتدبيرها سنة: (682هـ)، واستمرَّ إلى أن قُتِلَ في حدود الروم سنة: (685هـ)، رحمه الله تعالى[7].

2 - **ابن الفُوَطي (ت: 723هـ)**: هو كمال الدِّين، أبو الفضائل عبد الرَّزاق بن أحمد بن محمد بن أبي المعالي الشَّيبانيّ، العالم البارع المحدِّث الحافظ المفيد مؤرخ الآفاق المعروف بابن الفُوَطي نسبةً إلى الفُوَطِ الَّتي كان يبيعها، تَرجمَ لشيخه البرهان

(1) نزهة الخواطر:1/ 88-89. نقلا عن كتاب فوائد الفؤاد، للشيخ نجم الدين الحسن بن العلاء السجزي الدهلوي (ت737هـ)، والكتاب عبارة عن جمع لمقولات الشَّيخ نظام الدين أولياء.

(2) ينظر: المنهل الصافي، لابن تغري بردي: 1/ 265.

(3) ينظر: الوافي بالوفيات: 1/ 216.

(4) ينظر: تاريخ الإسلام: 15/ 317، والعبر في خبر من غبر: 5/ 346.

(5) هو عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين: عالم بغداد في عصره. مولده ووفاته فيها. كان يضرب به المثل في معرفة الفرائض.(ت: 739هـ) من أشهر كتبه: (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) وله معجم في (رجال الحديث) ينظر: الأعلام للزركلي: 4/ 170، ونظرات في كتاب الأعلام، أحمد العلاونة، المكتب الإسلامي: 84.

(6) هو ياقوت بن عبدالله الرومي المستعصمي أبو الدرر الملقب بجمال الدين الكاتب، كان بارعاً في الأدب والشعر والخط، كتب عليه خلقٌ من أولاد الأكابر. ينظر: تاريخ علماء بغداد المسمى (منتخب المختار)، أبو المعالي محمد رافع السلامي(ت:774هـ) تحقيق: محمد الزبيدي، منشورات دار الحكمة، بغداد- 2011، ص: 236.

(7) ينظر: تاريخ العراق بين احتلالين: للمحامي عباس العزاوي، مطبعة بغداد: 1/ 338، والأعلام للزركلي: 8/ 63.

النَّسَفي، ولد في محرم سنة: (642هـ)، وصحب نصير الطوسي[1] وأخذ عنه علوم الأوائل، ومهر على غيره في الأدب والتَّاريخ والشِّعر وأيَّام النَّاس، وله النَّظم والنَّثر وعني بهذا الشَّأن وجمعَ وأفادَ وصنَّفَ كُتُباً كثيرةً منها: (المؤتلف والمختلف).

وقال الحافظ الذهبيّ: «كانت له يدٌ بيضاءُ في النَّظم وترصيع التَّراجم، ولهُ ذهن سيَّال وقلم سريع، وخطٌّ بديع، وبصر بالمنطق والحكمة، وكان روضة معارف، وبحر أخبار، توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة»[2].

3 - **البِرْزالي (ت: 739هـ)**: هو الإمام الحافظ المؤرِّخ المفيد، علم الدِّين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد، البِرْزالي نسبةً إلى بِرْزلة[3] مِن بطون البربر، الأشبيلي الأصل، الدمشقي ولد بدمشق في جمادى الأولى سنة: (665هـ)، وأجازَ له البرهان النَّسَفي سنة: (684هـ)[4]، ويقال إنَّه قد سَمِع من ألفي شيخ، وكتبَ بخطِّهِ ما لا يُحصى كثرة، وتفقَّه بالشَّيخ تاج الدِّين الفزاري[5] وصحبه وأكثر عنه، وبلغ ثبتُه بضعًا وعشرين مجلداً، أثبتَ فيه كلِ من سمع منه، وانتفعَ به المحدِّثون من زمانه إلى آخر القرن، ذكره الحافظ الذَّهبي في معجمه وقال: «الإمام الحافظ المتقن الصادق الحجَّة مُفيدنا ومعلِّمنا ورفيقنا، محدِّث الشَّام ومؤرِّخ العصر، ومشيخته بالإجازة والسَّماع فوق ثلاثة آلاف، وكتبه وأجزاؤه الصَّحيحة في عدةِ أماكنَ وهي مبذولة للطَّلبة وقراءته المليحة الصَّحيحة الفصيحة مبذولة لمن قصده وتواضعه وبشره مبذول لكل غني وفقير»[6].

توفي مُحرِما بخُلَيص[7] في ذي الحجة سنة:

---

(1) هو أبو عبد الله، محمد بن محمد بن حسن، الشيخ نصير الدين، الطوسي، الفيلسوف، ويعرف بخواجا نصير، وكان فصيحا، خبيرا بجميع العلوم. توفي في ذي الحجة ببغداد (سنة:672 هـ). ينظر: تاريخ الإسلام: 15/ 252.

(2) ينظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي: 4/ 190، والوافي بالوفيات، للصفدي: 18/ 250، وفوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي: 2/ 319-320، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني: 3/ 159-161، وطبقات الحفاظ، لأبي بكر السيوطي: 519.

(3) بنو برزال هؤلاء ينتمون إلى بطن من بطون زناتة من بني يفرن، وكانوا يقطنون بالمغرب بأرض المسيلة والزاب الأسفل هؤلاء بإفريقية، وكانت مواطنهم منها جبل سالات وما إليها من أعمال المسيلة. وكان لهم ظهور ووفور عدد، وكانوا نكارية من فرق الخوارج الإباضية، وكان من بينهم ظهور وغنى مشهور. ينظر: تاريخ أبن خلدون: 7/ 72 ، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي: 74، ودولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان: 2/ 148.

(4) ينظر: تاريخ الاسلام: 15/ 517، وتاج التراجم: 247.

(5) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء، الشيخ الإمام العلامة شيخ الشافعية في زمانه، برهان الدين بن شيخ الإسلام تاج الدين الفزاري، المصري الأصل، الدمشقي الإقامة، أصولي ومؤرخ ومفسر ومحدث، توفي سنة: (729هـ) ينظر: فوات الوفيات، محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين: 2/ 263، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 8/ 163، و المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ليوسف بن تغري: 1/ 99.

(6) معجم الشيوخ= المعجم الكبير: لشمس الدين الذهبي: 2/ 115-116.

(7) وهي حصن وقرية، بين عسفان وقديد على ثلاث مراحل من مكة، وتنبسط في وادٍ يمتد من الشرق إلى الغرب، بها نخل وبركة كبيرة يرتادُها الحُجاج. ينظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع للبغدادي: 1/ 479، و وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ﷺ، علي بن عبد الله الحسني الشافعي، أبو الحسن السمهودي: 3/ 171، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة: 109.

(739هـ)، فغُسِّلَ وكُفِّن ولم يُستر رأسه، وحمله النَّاسُ على نعشهِ وهم يبكون حوله، وكان يوماً مشهوداً[1].

4 - **جلال الدِّين الحنفي (ت: 745هـ)** : هو جلال الدِّين أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسين بن أُنو شروان، قاضي القضاة، الحنفي الأنكوري. ولد بمدينة أنكوريَّة[2] من بلادِ الرُّوم في سنةِ: (651هـ)، ونشأَ بها، وحفظَ القرآن الكريم، وطَلَبَ العلمَ، وتفقَّه بوالدهِ، وقرأ النَّحو والتَّفسير على يزيد بن أيوب الحنفي، وقرأ النَّحو أيضًا على الشَّيخ صدر الدِّين تلميذ أبي البقاء العكبري، وقرأ الخلاف على العلامة برهان الدين الحنفي بدمشق، والفرائض على العلاء البخاري، وبرع وأفتى ودرس، وتصدر للإقراء في حياة والده، وقرأ الجامع الكبير والزيادات للعتابي على الشَّيخ شمس الدِّين الماردينيِ[3].

وأشغل عدَّة مناصب، وولّي قضاء (خرت برت)[4]، وعمرهُ سبع عشرة سنة، وحُمِدَت سيرتُه، ثُمَّ وُلِيَّ قضاءَ الحنفية بدمشق عند توجه والدِه إلى الدِّيار المصريَّة في ثاني صفر سنة: (696هـ)، كان ذكياً عارفاً بالمذهب وأصولِه، مُحقِّقاً، إماماً في العلوم العقليَّة، توفي يومَ الجمعة تاسعَ عشر من شهر رجب سنة: (745هـ)[5].

ثالثاً: آثاره ومصنفاته.

صنَّفَ البرهان النَّسَفي كُتُباً كثيرة ومُتنوِّعة، كانَ الغالب منها في علم الكلامِ، والجَدَلِ، والحكمةِ، وألَّفَ أيضاً في أصولِ الفِقهِ، وكتاباً في التَّفسيرِ المسمى: (كشف الحقائق وشرح الدقائق من تفسير كلام الله العزيز)، وبهذا تَبرُزُ مكانتُه العِلميَّة كما وصفه مترجموه، فهو بارعٌ في العلومِ العقليَّة. وأمَّا الكتب التي ألفها البرهان النَّسفيّ فهيَ (أربعةَ عشر مُصنَّفاً) وسنذكر بعضاً منها:

1 - مكارم الاخلاق[6].

2 - شرح الفصول في الجدل[7].

3 - شرح الرِّسالة القدسية بأدلتها البُرهانية للغزالي[8].

4 - الفوائد[9]

(1) ينظر في ترجمته: فوات الوفيات: 3/ 196-197-198، والوافي بالوفيات: 10/ 71، والدرر الكامنة: 4/ 277.

(2) وهي مدينة أنقرة نفسها عاصمة تركيا بالوقت الحاضر. ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: 1/ 271، ومراصد الاطلاع: 1/ 126، مسالك الأبصار في ممالك الامصار أبن فضل الله العمري: 27/ 80.

(3) هو محمد بن عثمان بن علي الماردينيِ، ثم الحلبي، الشافعي (شمس الدين) فقيه، اصولي، محدث. من تصانيفه: (شرح المنهاج في أربعة عشر مجلدا) و(شرح الورقات في اصول الفقه) و (حاشية على الجامع الصحيح للبخاري في ثلاث مجلدات) توفي سنة: (871هـ). ينظر: طبقات المفسرين للداوودي: 1/ 420، وديوان الإسلام للغزي: 1/ 72، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: 10/ 284.

(4) بالفتح ثم السكون، وفتح التاء المثناة، وباء موحدة مكسورة، وراء ساكنة، وتاء مثناة من فوقها، هو اسم أرمنيّ: وهو الحصن المعروف بحصن زياد وهو بين آمد وملطية، وهو إلى ملطية أقرب، الذي يجيء في أخبار بني حمدان في أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات ينظر: معجم البلدان للياقوت الحموي: 2/ 355، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين الحنبلي البغدادي: 1/ 407.

(5) ينظر: الجواهر المضية: 1/ 63، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: 1/ 135، والمنهل الصافي: 1/ 264 - 265.

(6) تحقيق: محمد بن عبدالله أحمد، أبو الفضل القونوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2011.

(7) تحقيق د. شريفة بنت علي بن سليمان الحوشاني، جامعة الملك سعود، 1433هـ/ 2010م.

(8) ينظر: كشف الظنون: 1/ 881، وهدية العارفين: 2/ 136، ومعجم المؤلفين: 11/ 297.

(9) ينظر: كشف الظنون: 2/ 1296.

5 – شرح أسماء الله الحسنى[1].
6 – رسالة في الدَّور والتَّسلسل[2].
7 – منشأ النَّظر في علم الخلاف[3].
8 – دفع النصوص والنقود[4].
9 – مقدمته المشهورة في علم الخلاف[5].

المبحث الرابع
دراسة عن كتاب
(كشف الحقائق وشرح الدقائق)

اولاً: اسم الكتاب

إنَّ أسم الكتابِ (كشف الحقائق وشرح الدقائق) مثبتاً على النسختين التي اعتمدتهما في التَّحقيق مع فارق يسير، فهو في نسخة (مراد ملا) التي رمزتُ لها ب(م) قد وجدَ باسم (كشف الحقائق وشرح الدقائق من تفسير كلام الله العزيز) والَّتي جعلتها الأصل في التحقيق، وفي نُسخة (فاضل باشا) والَّتي رمزتُ لها ب(ف) قد وجدَ باسم (كشف الحقائق وشرح الدقائق من تفسير كلام رب العالمين).

والرَّاجحُ من تسمياتِ الكتابِ المُتقدِّمة هي التَّسمية الأولى: (كشف الحقائق وشرح الدقائق من تفسير كلام الله العزيز)؛ لأنَّه جاء التَّصريحُ بها في اللَّوحة الأولى من النُّسخَةِ الأصل المعتمدة في التَّحقيق وهي نسخة (مراد ملا). وكذلك نسخة فاضل باشا حيث صرَّح به في نهاية المخطوط وقال: (تَمَّ كشف الحقائق وشرح الدقائق في تفسير كلام الله العزيز)[6].

ثانياً: إثبات نسبة الكتاب لمؤلفه.

إنَّ جميع من تَرجم للبرهان النَّسَفي لم يختلفُوا في نسبةِ هذا التَّفسير إليه، إلَّا أنَّ بعضَ مِن العلماءِ والمُستَشرقين المُتأخِّرين قد اختلفوا في ذلك، فنسبوا الكتاب إلى مؤلفين اثنين، فقال حاجي خليفة[7]: «وكشف الحقائق في التَّفسير لموفق الدِّين الكوَّاشي»[8]، ونسبه في موضع آخر للبرهان النَّسَفي[9]، وكذلك الزَّركلي في الأعلام[10]، وَعدَّ كارل بروكلمان هذا التفسير (كشف الحقائق) مِن ضمن

(1) ينظر: كشف الظنون: 2/ 1032، وهدية العارفين: 2/ 135. وتوجد نسخة منه في برلين برقم(2233)، ينظر: تاريخ الأدب العربي:1/ 737.
(2) كشف الظنون: 1/ 865، وهدية العارفين: 2/ 135، والدور والتسلسل من مصطلحات الكلاميين وسيأتي بيانهما في التفسير فيما تعرض له البرهان النسفي.
(3) قام بتحقيقه الدكتورة شريفة الحوشاني، كتاب نُشَرِ في مجلة الحكمة، بريطانيا، العدد (34).
(4) ينظر: الأعلام: 7/ 31. وتوجد نسخة منه في برلين برقم(5168)، وأيضا في اسكوريال في أسبانيا وشرحها مؤلف مجهول، توجد نسخة منه في كلاسكو في انكلترا- القسم السادس برقم:234، ينظر: تاريخ الأدب العربي:1/ 737.
(5) ينظر: تاريخ الإسلام: 15/ 517، والجواهر المضية: 2/ 127، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول: 3/ 252، وهدية العارفين: 2/ 136. وتوجد نسخة منه في برلين برقم(5169)، ينظر: تاريخ الأدب العربي:1/ 737، وخزانة التراث – فهرس المخطوطات: 96/ 827، برقم (97197).

(6) ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ ثمة فرقاً يسيراً في التسمية بين نسخة مراد ملا وفاضل باشا، ففي الأولى الموجود (من كلام الله العزيز) وفي الثانية (في كلام الله العزيز) فالخلاف فقط في حرف الجر.
(7) ينظر: كشف الظنون: 2/ 1489.
(8) وهو الإمام العلامة الزاهد الكبير، أبو العباس موفق الدين أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع، الكواشي المفسّر الموصلي الشافعي، ولد بكواشة وهي قلعة في الموصل، قرأ القرآن على والده واشتغل وبرع في القراءات والتفسير والعربية والفضائل، (ت:680هـ). ينظر: تاريخ الإسلام: 15/ 385، والوافي بالوفيات: 8/ 190، والعقد المذهب في طبقات حملة المذهب، لابن الملقِّن: 1/ 379.
(9) ينظر: كشف الظنون:2/ 1756.
(10) ينظر: الأعلام: 1/ 274.

مصنَّفات الكوَّاشيّ[1].

وأحسبهم لم يطلعوا على مضمون التَّفسير، لأنَّهُ عند مقارنته بتفسير برهان الدِّين النَّسفيّ نجده مطابقاً له تماماً من أوَّل الكتاب إلى آخره، وبعد البحث المُعَمَّق والدِّراسة المُستَفِيضَة في كتبِ التَّراجم والمخطوطات الَّتي بحوزتنا تَبَيَّنَ لنا أنَّ تفسير: (كشف الحقائق وشرح الدقائق)، نُسِب خطأً للكوَّاشيِّ وأنَّ المخطوط يعود إلى برهان الدِّين النَّسَفيُّ.

ثالثاً: وصف النُّسخ الخطية

اعتمدتُ في ضبط وتحقيقِ هذا النَّصِّ من تفسير (كشف الحقائق وشرح الدَّقائق من تفسيرِ كلام الله العزيز لـ (برهان الدِّين النَّسفيُّ) على نسختين خطِّيّتين، وكما يلي:

الأولى: نسخةُ مراد ملا، والمحفوظة في مكتبة السُّليمانيَّة بإسطنبول برقم (29701)، وتقع في ثمان مجلدات وبالتَّسلسل الآتي: (101/ 1–8)، (–147 154)، عدد أوراق التَّفسير المخطوط (2399و)، وفي كُلِّ ورقةٍ صفحتان، ومسطرتها (23) سطراً، وعدد كلمات كل سطر وهي نُسخةٌ تامَّةٌ واضحة إلَّا في بعض المواضع حيث سقط منها بعض الكلمات، واتخذتُها النُّسخة الأصل في التحقيق، ورمزت لها بالحرف (م)، وخطُّها نسخ معتاد، اتَّبع النَّاسخ نظام التَّعقيبة للمحافظةِ على تسلسل صفحاتها، واسم ناسخها: (عبد الرحيم بن أحمد بن معيوف بن أبي بكر بن ناعم الجزري)، وذكر الناسخ تاريخ ومكان نسخها إذ قال: (وكان الفراغ من تعليقه في الثامن من نهار السبت المبارك، التاسع من رمضان المعظم من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة أحسن الله خاتمها، وكان ابتداء تعليقه بدمشق المحروسة.. وبالقدس الشريف، وتكملة الكتاب بمدينة غزة المحروسة...).

الثَّانية: نسخةُ فاضل باشا في (كوبريلي)، والمحفوظة في مكتبة السليمانيَّة بإسطنبول برقم: 01/ 77 (123)، وعدد أوراقها: (744) ورقة، وفي كُلِّ ورقةٍ صفحتان، ومسطرتها (41) سطرا. وخط نسخها فارسي، وهي نسخة جيدة ومشكولة في بعض المواضع إلَّا أنَّ فيها بياضاً في بعض الأوراق، واسم ناسخها: يوسف بن محمود بن حسين المعروف بالفارسي، وذكر النَّاسخ تاريخ إتمام نسخها في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة بسلطانيَّة في تركيا. ورمزت لها بالحرف (ف) وجعلتها نسخة ثانية في التَّحقيق.

رابعاً: منهج المؤلف في الكتاب

من خلال النظر والتدقيق والاستنتاج نعلم أنَّ للإمام برهان الدِّين النَّسفيُّ منهجاً علمياً سديداً اتبعه في تفسيرهِ حيث لم يدع فناً من الفنون الَّتي تتعلق بعلم التَفسير إلّا وذكره ليخرج لنا بهذا التفسير الرائع الّذي هو بحق تفسيراً شاملاً بكل ما تعنيه الكلمة من ذلك العلم الجليل، ونظراً لمحدودية البحث فسنأخذ أبرز ما ورد في منهجهِ بتفسير كشف الحقائق وشرح الدقائق.

أولاً: عند تفسيره القرآن بالمأثور من أقوال الصحابة والتابعين، فأنَّهُ يُكثر من أقوال الصحابة والتابعين في بيان بعض معاني كلمات القرآن وفي بيان المراد من مقاصد الآية مثال قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ**﴾[الانعام:23]، ذكر البرهان قول أبن عباس فقال: «وعن ابن عّباسٍ أَنَّهُ قالَ: ﴿**ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ**﴾، مَعناهُ: شِركُهم في الدُّنْيا».

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْءَوْنَ عَنْهُ**﴾[الانعام:26]، ذكر البرهان قول قُتادة حيث قال: وقالَ قتادة : يَنهونَ عن القُرآنِ وعن النّبيّ عليه السلام

(1) ينظر: تاريخ الادب العربي:1/ 737. ونسبه أيضا للبرهان النَّسَفي في الموضع نفسه.

ويَتَباعدونَ عنْهُ وإن يُهلِكونَ إلَّا أنْفُسَهُم؛ لأنَّ أوزار الذّينَ يُضلّونَهم عَليهم وما يَشعرون أنّها كَذلك.

ثانياً: أعتمد البرهان النَّسفيُّ في تفسيرِهِ ببيان المعنى اللغوي للآيات وذكره الوجوه والنظائر مثل قولهِ تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الانعام: 31] ، قال البرهان النَّسفي في بيانِهِ لُمفردَةِ (الوزر) وفي اللّغة: الوِزر الثّقل وأصلهُ من الحِمْل. يُقالُ: وزرتُ الشَّيء أي: حَملتُهُ. وأوزار الحرب أثقالُها مِن السّلاح. ووزيرُ السلطانِ الذي يزرعهُ أثقالَ ما يُسندُ إليهِ من تَدْبيرِ الولايةِ، أي: يَحْمِلُ. فَقولُهُ: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾، أي: يُقاسَون عذابَ ذُنوبِهم مَقاساةَ يَثقُل ذلكَ عَليهِم.

ثالثاً: اعتنى البرهان النَّسَفي في تفسيرِه بعلم القراءات عنايةً فائقةً، فما مِن آيةٍ تَرِدُ وفيها أكثر مِن قراءةٍ إلَّا ويَقفُ عليها ويبيِّن القراءات الواردة فيها، ويعزو ما وَرَدَ من القراءات بنوعيها الصَّحيحةُ والشَّاذَّةُ إلى أئمَّةِ ذلك العلم فمِن الأمثلةِ على إيرادِهِ القراءةِ الصَّحيحةِ ما ذَكَرَه البُرهانُ النَّسَفي في القراءاتِ الواردةِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: 79]، قرأ نَافعٌ وابنُ عَامرٍ وحفصٌ عن عَاصم ﴿وَجْهِيَ﴾، بفتح الياء، والبَاقون تَركوا هذا الفَتحَ[1].

ومن أمثلة القراءات الشاذة في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾، قالَ البرهان النَّسَفي: وعن الحَسَن (رَحِمهُ اللهُ) إنّهُ قَرأ (يَنَونَ عنْهُ) بطرحِ الهَمزةِ وفتحِ النّونِ[2].

رابعاً: منهجه في أسباب النزول اعتنى البرهانُ النَّسَفيّ بعلم أسبابِ النُّزول اعتناءً كبيراً، وكانَ مِن منهجِهِ أن يَذكُرَ السَّبب مَع أول إسنادهِ تارةً وبدون إسناد تارةً أخرى، ولم يكتفِ النسفي بذكرِهِ لأسباب النُّزولِ فقط، بل إنَّه يُرَجِّح فيما بينها. ومن الأمثلة في ذلك ما يلي:

قال البرهانُ النَّسَفيّ في سَبَبِ نزولِ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الأنعام: 54]، اختَلفوا في سَببِ نُزولِ هذهِ الآيةِ: مِنْهم مَن قالَ: هو على إطلاقِهِ في كُلّ مَنّ هذهِ صِفَتُهُ. ومِنْهم من قالَ: إنَّهُ في حَقّ الفُقراءِ الذّينَ طَردَهُم كما مَرَّ فأكرَمَهُم اللهُ بهذا الإكرام.

ومِنْهم من قال: إنَ عُمرَ ﷺ لَّما اعتَذرَ من مَقالتِهِ وأستغفَرَ اللهَ مِنها وقالَ الرَسُولُ) :ﷺما أرَدتّ بِذلكَ إلَّا الخَير)[3]، نَزلتْ هذهِ الآيةِ وهو قَولُ ابن عبّاسﷺ. ومِنْهم مَن قالَ: بل نَزلَت في حَقّ قَوم أقدموا على ذَنوبٍ، ثُمَّ جاؤوهُ ﷺ مُظهرينَ للنَّدامةِ، والأقربُ من هذهِ الأقاويلِ أن يَحملَ على عمومِها فَكلّ مَن آمن باللهِ دَخلَ تَحتَ هذا التَشريفِ.

خامساً: ما ذَكَرَهُ البُرهان النَّسَفيّ في المُناسَبَةَ بينَ الآيات كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأنعام: 37]، وبين قولهُ سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ

(1) ينظر: ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد: 222، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني: 108، والنشر لأبن الجزري: 2/ 172.

(2) ينظر: أعراب القرآن للنحاس: 2/ 7، والمحرر الوجيز: 2/ 281، والتبيان في أعراب القرآن للعكبري: 1/ 488.

(3) ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل الى رسول الله ﷺ = (صحيح مسلم)، للحافظ مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر بهِ أو فوت بهِ حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، رقم: (1159) 2/ 813 .

﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[الأنعام: 48]، قال البرهان: إنَّهُ تعالى حَكى عن الكُفارِ فيما تَقَدّمَ أنَّهم قالوا لولا أُنزلَ عليهِ أيةٌ مِن رَبّهِ كما مرَّ.

ثُمَّ ذَكَر في هذهِ الآيةِ أن الأنبياءَ والرُّسلَ بُعثوا مُبشرينَ ومُنذرينَ ولا قدرةَ لَهُم على إظهارِ الآياتِ وإنزال المُعجزاتِ، بل ذلكَ مُفوّضٌ إلى مَشيّئةِ الله تعالى وحِكمتِهِ، فقالَ: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾، بالثوابِ على الطّاعاتِ ومُنذرينَ بالعقابِ على المَعاصي.

خامساً: منهجي في التحقيق

1. نسخ ومقابلة النُّسختَين الموجودتين، وإثبات الفروق والتَّرجيح بينهما، وبيان الزِّيادة والنَّقص في الكلمات والجمل.
2. عَزو الآيات إلى السُّور مع بيان رقم الآية، وقد جعلت ذلك من ضمن المتن ووضعت الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين.
3. تخريج القراءات، وعَزوِها إلى مصادرها.
4. تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب، واتبعت فيه ما يأتي:

أ- إذا ورد الحديث في الصَّحيحين أكتفي بهما أو بأحدهما دون الحاجة إلى الحكم على الحديث.

ب- إذا لم يرد في الصَّحيحين خرجته حيثما ورد في كتب السُّنن والمسانيد، مع تتبع الكتب الَّتي ذكرت الحكم على الحديث.

5. توثيق الأقوال من مصادرها الأصيلة، بمراجعة أُمَّهات المصادر اللُّغوية والبلاغية والأصولية فضلا على كتب التفسير.
6. تنسيق وضبط وتفقير العبارات بما يناسبها من العلامات، مع مراعاة قواعد الإملاء.
7. إبراز رؤوس المسائل والأقسام بخط أسود عريض.
8. إثبات المصادر في الهامش، بذكر اسم الكتاب فمؤلفه.
9. ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في المخطوط، ولم أقم بترجمة الصحابة ﷺ، سوى غير المشهورين.
10. التَّعليق على بعض العبارات الَّتي تحتاج إلى ما يحلُّ مشكلها ويُوضِّح غامضها.

المبحث الخامس
النَّص المُحقق

قولُهُ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنعام: 68]،[66أ] قالَ في الآيةِ الأوَّلى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ﴾[الأنعام: 66].

ثُمَّ بيَّنَ في هذهِ الآيةِ أنَّهم ضَمّوا إلى كُفرِهم وتكذيبِهم الاستهزاءَ بالدّينِ والطّعنَ في الرَّسُولِ؛ فإنَّهُ يَجبُ الاحترازُ عَن مُجالسَتِهِم ومُقاربتِهِم، وفي الآيةِ من المباحثِ:

الأوَّلُ: وإذا رَأيتَ أيُّها السّامعُ الذّين يخوضُونَ في آياتِنا، أي: يخوضونَ بطَريقِ الاستهزاءِ فلا تَقعُدوا مَعهم حتى يَخوضُوا في حديثٍ غيرِهِ، ولفظُ الخَوضِ في اللغةِ عبارة عن المفاوضةِ على وجه اللّعِبِ والعَبَثِ.

الثّاني: قرأ ابن عامرٍ ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾، بالتَّشديدِ[1] ومعنى الآيةِ: إن نسيتَ فقعدتَّ فلا تَقعدْ بعدَ الذكرى، وقم إذا ذكرتَ. والذّكرى أسم التَذكرة وقِيل: إنَّهُ بمعنى الذّكرِ وقولُهُ: مَعَ الظالمين، أي: مع المُشركينَ[2].

الثالث: هذا الأعراضُ يُحتملُ أنَ يَحصلَ بالقيامِ

(1) ينظر: السبعة: 260، والتيسير: 103، والنشر: 2/ 259.
(2) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 567.

عنْهم ويُحتمل أن يَحصلَ بغيرِه. فلمَّا قالَ بعد ذلكَ: ﴿فَلَا نَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، صارَ ذلك دَليلاً على أن ذلكَ بالقيام وهنا سؤالات:

الأوَّلُ: هل يَجوز إظهار هذا الإعراض بغيرِ القيام؟

والجَوابُ: إنَّ مَنْ تمسَّك بظواهرِ الألفاظِ فقد أنكرَ ذلكَ، ومن قال: ألْمُعتبرُ هو المَعنى فقد جَوّز ذلك.

الثّاني: ﴿فَلَا نَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، يُفيد أن التّكليفَ سَاقطٌ عن الناسي[1].

قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾،[الأنعام: 69].

قالَ ابنُ عبّاس: قالَ المسلمونَ: لئن كُنّا كُلّما استهزأ المُشركونَ بالقُرآنِ[2]، وخَاضُوا فيهِ فَملنا[3] عَنهُم لَما قَدَرْنا على أن نَجلسَ في المَسجِدِ الحَرامِ وأن نطوفَ بالبيت، نَزلت هذهِ الآية وحَصَلت الرّخْصةُ فيها للمؤمنينَ بأن يقعدوا معهم ويذكرونَهم ويَفهّمونهم. قال: ومعنى الآية: وما على الذينَ يَتّقونَ الكَبائرَ من حِسَابِهم من آثامِهم من شيءٍ ولكن ذِكرى[4]. قال الزَّجاجُ: قولُهُ: ﴿ذِكْرَىٰ﴾، يَجوز أن يَكونَ في مَوضعِ رَفعٍ، وأن[5] يكونَ في موضع نصبٍ.

أمَّا الأوَّلُ: ولكن عليكُم ذكرى والذكرى بمعنى التَّذكيرِ حينئذٍ.

وأمَّا الثّاني: فالتقديرُ ذَكّروْهم [وهم][6] ذِكرى لَعلّهُم يَتّقونَ[7].

(1) ينظر: مفاتيح الغيب: 13/ 22-23.
(2) في (م) وردت: (في القرآن).
(3) في (م) تصحيف: (حمَلنا) وما أثبتهُ من (ف).
(4) ينظر: التفسير الوسيط: 2/ 285.
(5) في (ف) وردت: (أن).
(6) سقط من (م) وما أثبتهُ من (ف).
(7) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 2/ 261.

قولُهُ تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ۖ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾][8]، [الأنعام: 70].

اعلم أن هَؤلاءِ [66ب] هم المَذكرونَ بقولهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾[الأنعام: 68]، ومَعنى: ذَرهُم؛ أعرضْ عَنهُم. وليس المُرَادُ أن يَترُكَ إنذارَهم؛ لأنَّهُ قال بعده:

﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾[الأنعام: 70]. واعلم أنَّهُ تعالى أمَرَ الرَّسُولَ بأن يَترك من كان مَوصُوفاً بصفةِ أنَّهم ﴿ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾، وفي تفسيرِهِ وجوهٌ مِنْها:

إنَّهم اتَّخذوا [دينَهم][9] الذي كلّفوه ودَعوا إليهُ وهو دينُ الإسلامِ لَعباً ولهواً حيثُ سَخِروا واستَهزؤا بهِ. ومنَها اتخذوا ما هو لَعِبٌ ولهوٌ من[10] عَبادَة الأوثانِ وغَيرها دِيناً لهُم. ومنها إنَّ الكُفارَ كَانُوا يَحكمونَ في دينِ[11] الله بمُجرّد التَّشَهّي والتَّمنّي، مِثْلَ: تَحريم السَّوائبِ، والبَحائرِ، وما كَانُوا يَحتاطون في أمرِ البَتَّةَ فَعَبّرَ اللهُ عَنهمُ بأنَهم اتَّخذوا ديناً لعباً ولهواً.

ومنَها أنَ المُحقّ في الدينِ هو الذي يَنْصر الدّينَ، لأجل أنَّهُ قَام الدَّليلُ عَلى أنَّهُ حقّ، وصَدق، وصوابٌ؛ فأمّا الذينَ يَنصرونهُ لتوسلوا بهِ إلى أخذ المَناصب[12]، وجَلبِ المَنَّافعِ، والمَطالبِ، فَقد نَصَروا الدينَ للدُّنيا وقَد حَكم الله تعالى عَلى الدُّنيا بأنَّها لِعبٌ ولهوٌ فالمُرَادُ من قَولِهِ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟

(8) سقط من (ف).
(9) سقط من (ف).
(10) في (ف) تصحيف (عن).
(11) في (ف) تصحيف (دون).
(12) في (م) وردت: (المَال).

دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾، هُو الإشَارَةُ إلى مَنَ يتوسّلَ بدينهِ إلى دُنيَاهُ[1].

ولو تَأمّلتَ في أكثرِ الخَلقِ وجدتَّهُم بهذهِ الصِّفَةِ عَلى الخُصُوصِ مَن يَدّعي الزُّهدَ والتَجرُّدَ بين النَّاسِ، وأمرَ الرَّسُولِ أيضاً بأن يترُكَ مَن كانَ مَوصُوفاً بِصفةِ الغُرور كما قَال تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، وأنَّهُ من جُملةِ ما تُوكدُ ذلكَ؛ فكأنَّهُ تعالى يقول: إنَّما اتَّخذوا دِينَهُم لِعباً ولهواً لأجلِ أنَّهُم غَرّتْهُم الحياةُ الدُّنْيا.

ثُمَّ اختلفوا في الضَّميرِ في قولِهِ: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾، قِيلَ: وذَكّر بالقرآنِ[2]. وقيل: وذَكر بالدّينِ[3]. وأمَّا قولُهُ: ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾، قالَ[ﷺ][4] في الكَشّاف: أصلُ الإبسَالِ المَنعُ، ومنهُ هذا عليك بَسل أي: حَرامٌ. والبَاسلُ: الشُّجاعُ لامتناعِهِ من خَصمِهِ[5]. وقال ابنُ عبّاسٍﷺ: أن تُبسلَ نفسٌ بما كَسبتْ أي: ترتَهن في جهنَّم بما كَسبت في الدُّنْيا. ومعنى الآية: وذكرَهُم بالقرانِ[6].

ومقتضى الدّينِ احتباسُهُم في نَارِ جَهنَّم بِسَببِ جِنايَاتِهِم لعَلّهم يَخافونَ فيتقونَ. ثُمَّ قالَ تعالى: [﴿لَيْسَ لَهَا﴾، أي:][7] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ [أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾][8]، أي: وإن تَعدل كُلّ فداءٍ والعدلُ الفديةُ.

قال في الكَشَّافِ: فاعلٌ يؤخذ ليس هو عدل، لأنَّ العدلَ هُنا مَصدرٌ، فلا تَسند إليه الأخذَ. وأمَّا في قولِهِ: ولا يؤخَذ منها عَدلٌ، فَمعنَى المُفدّى بِهِ فصحَّ إسنَادهُ إليه[9] فنَقول: الأخذُ بمعنى القبُولِ واردٌ[10]. قالَ تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[التوبة: 104]، أي: يقبلُهَا[11].

فيَحملُ الأخذُ هُنا على القبولِ ويَزولُ السؤالُ، والمقصودُ إنَّما يُفيد الخَلاصَ في الدُّنيَا من الفديةِ وغيرِها، فذلكَ لا يُفيدُ في الآخرةِ البَتّةَ، ثُمَّ إنَّهُ تعالى لَمَّا أشارَ إلى المُرتَهنينَ في النَّارِ فقالَ: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ[كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾][12] [68أ] قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ[كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾][13][الأنعام: 71 – 72]. اعلم أنَ المَقصودَ من هذهِ الآيةِ الرَّدُّ على عبَدةِ الأصنامِ فقال: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي: أنعبدُ من دونِ النَّافعِ الضَّارَّ ما لا يقدرُ على النَّفعِ والضّرّ ونردّ على أعقابنا رَاجعين إلى الشّركِ بعد ما هدانا اللهُ إلى الإسلامِ[14].

يقال: من أعرضَ عن الحقِّ إلى الباطلِ أنَّهُ رَجَعَ على عقبهِ ورَجَعَ الْقَهْقَرَى[15]. وأمَّا قولُهُ: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ[حَيْرَانَ﴾][16] [الأنعام: 71]. ففيهِ بحثان:

(1) ينظر: مفاتيح الغيب: 13/ 24، والبحر المحيط في التفسير: 4/ 463، واللباب في علوم الكتاب: 8/ 212.
(2) جامع البيان: 9/ 320.
(3) ينظر: مفاتيح الغيب: 13/ 24.
(4) سقط من (م) وما أثبتهُ من (ف).
(5) ينظر: الكشاف: 2/ 36.
(6) ينظر: مفاتيح الغيب: 13/ 24.
(7) تقديم وتأخير في (ف).
(8) سقط من (م) وما أثبتهُ من (ف).
(9) ينظر: الكشاف: 2/ 36.
(10) في (ف) تصحيف (واراد).
(11) ينظر: الكشاف: 4/ 398.
(12) سقط من (م) وما أثبتهُ من (ف).
(13) سقط من (ف).
(14) ينظر: ومفاتيح الغيب: 13/ 25.
(15) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 2/ 262، ومفاتيح الغيب: 13/ 25.
(16) سقط من (م) وما أثبتهُ من (ف).

الأَوَّلُ: قرأ حَمزةُ أستهواه[1] بالإلف مما له على التذكيرِ والباقون بالتاء[2][3]؛ لأنَّ الجَمعَ يَصلحُ أن يُذكّرَ على مَعنى الجَمعِ، ويصلحُ أن يؤنّثَ على مَعنى الجَماعةِ.

الثاني: [قِيل][4] في قولِهِ: ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ﴾، إنَّهُ مُشتقٌّ من الهوى في الأرضِ وهو النُزولُ من المَوضعِ العالي إلى الوهدةِ السَّافلةِ العَميقةِ في قعرِ الأرضِ فشبّه اللهُ تعالى حالَ هذا الضّالَّ بهِ. وقِيل: إنَّهُ مُشتقٌّ من اتّباعِ الهوى والميلِ، فإنَّ من كانَ كذلكَ فإنَّهُ رُبّما بَلَغَ النهايةَ في الحيرةِ. والقولُ الأَوَّلُ أولى؛ لأنَّهُ أدلَّ على الدّهشةِ والضّعفِ.

قولُهُ [تعالى][5]: ﴿حَيۡرَانَ﴾، يُقال: (حار – يَحُارُ – حَيرَةً – وحيراً – وحيراناً – وحيرورةً)، ومَعنى (الحيرةِ): هو التَرَدّد في الأمرِ بحيثُ لا يَهتدي إلى مَخرجهِ[6].

واعلم أنَّ هذا المَثلَ[7] في غايةِ الحُسْن، إذ الذي يَهوي من المكانِ العالي إلى الوهدةِ العَميقةِ، [يَهوي][8] إليها مع الاستدارةِ على نَفسِهِ وذَلكَ يوجبُ كمالَ التَرَدّد والحيْرةِ.

قولُهُ تعالى: ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَا﴾[الأنعام: 71]، نزلت الآيةُ في عبدِ الرّحمنِ ابن أبي بكرٍ الصّدّيق؛ فإنَّهُ كانَ يَدعوا أباهُ إلى الكُفرِ، وأبوه كانَ يدعوا إلى الإيمان[9]. وقِيل: المُرَادُ أنَّ لذلكَ الكُفّار أصحابٌ يدعونهُ إلى ذلك الضّلالِ ويسمّونهُ بأَنَّهُ هو الهُدى[10] وهذا بَعيدٌ والأَوْلى هو الأَوَّلُ.

الخاتمة

عاش الإمام برهان الدِّن النَّسفيُّ عصرين مختلفين، فالأَوَّل في بلدة نَّسف ببلاد ما وراء النهر والثاني في بغداد، وقد واجه في كلا العصرين حياة مليئة بالحروب والنِّزاعات السِّياسيّة والدِّينيّة، أنعد فيها الأمن والاستقرار فضلاً عن تدهور الحياة الاقتصاديِّة لا سيما في عصر المغول، إلّا أنَّ ذلك لم يؤثر على دور العلماء في نشر العلم وكذلك بقيت المدارس تخرج الأجيال.

ومن خلال ما استعرضناه من أسلوب الإمام النَّسفيُّ في تفسيره (كشف الحقائق) ومن خلال الامثلة سلفاً يتبيَّن لنا أن البرهان كانت خطواتهِ منتظمة ومنهجهُ متقن، حيث أنَّه بدأ بالثوابت مُتسلسلاً بها، وبعدها يضيف إليه منهجه وطريقته وأسلوبه الخاص وهذا يضفي إلى تفسيره سلاسة وفهمًا لدى القارئ وبهذا الأسلوب كان تفسير (كشف الحقائق وشرح الدقائق) من التفاسير الغنية بأغلب العلوم والفنون.

(1) في (ف) تصحيف (استهوتهُ).
(2) في (ف) تصحيف (بالياء).
(3) ينظر: السبعة: 260، والتيسير: 103، والنشر: 2/ 258.
(4) سقط من (ف).
(5) سقط من (ف).
(6) ينظر: جامع البيان: 11/ 451.
(7) في (ف) تصحيف (الميل).
(8) سقط من (ف).
(9) ينظر: معاني القرآن للفراء: 339، و تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: 112.
(10) ينظر: جامع البيان: 11/ 454.

المصادر

- القرآن الكريم
- آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: 682هـ)، دار صادر – بيروت.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، (ليدن- دار صادر، بيروت – مكتبة مدبولي القاهرة)، الطبعة الثالثة: (1411هـ- 1991م).
- إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338هـ)، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ.
- الأعلاق النفيسة، أبو علي أحمد بن عمر أبن رستة، تحقيق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (1998هـ).

الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر – 2002 م.

- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، 1420 هـ.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى: (1408 هـ – 1988 م).
- تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ)، المحقق: خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية:(1408هـ – 1988 م).
- تاريخ ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت: 749هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ – 1996م.
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 2003م.
- تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) المحقق: حمدي الدمرداش مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى: 1425هـ- 2004م.
- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت : 616هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي
- تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م.
- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: 150هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث- بيروت، الطبعة الأولى – 1423 هـ.
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (ت: 68هـ)، جمعهُ: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ)، دار الكتب العلمية – لبنان.
- التيسير في القراءات السبع: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: 444هـ)، المحقق: أوتو تريزل، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1404هـ/ 1984م.

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت: 775 هـ)، مير محمد كتب خانه- كراتشي.
- حدود العالم من المشرق إلى المغرب، مؤلف مجهول (توفي: بعد 372 هـ)، محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية) : السيد يوسف الهادي، الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة): 1423 هـ).
- السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: 324 هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية، 1400 هـ.
- السلوك لمعرفة دول الملوك: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت: 845 هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748 هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405 هـ / 1985 م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت: 1089 هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: 821 هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- صورة الأرض، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (المتوفى: بعد 367 هـ)، الناشر: دار صادر، أفست ليدن، بيروت، عام النشر: (1938 م).
- ضحى الإسلام، نشأة العلوم في العصر العباسي الأول، أحمد أمين، تحقيق وتعليق: محمد فتحي أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الاولى.
- طبقات الحفاظ: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1403 .
- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: 771 هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413 هـ.
- طبقات المفسرين العشرين: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ)، المحقق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى، 1396 .
- العبر في خبر من غبر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748 هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت: 855 هـ).
- فوات الوفيات: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت: 764 هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، الجزء: 1 - 1973 ، الجزء: 2، 3، - 1974 م.
- الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: 630 هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1417 هـ / 1997 م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف بـ (حاجي خليفة) (ت: 1067هـ)، مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية). معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، دار صادر- بيروت، الطبعة الثانية، 1995 م.
- المسالك والممالك، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: 346هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، عام النشر: (2004).
- معجم الشيوخ الكبير للذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (1408 هـ - 1988م).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت: 768هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (المتوفى: 560هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى (1409 هـ).
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: 1399هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، (1994م).